

أضواء البيان

@ 398 { يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ قُمْ إِلَى اللَّهِ تَتَكَلَّمُونَ } . قوله تعالى : { تَتَكَلَّمُونَ خَلْقًا نَّاهِيًا } . وهو القد ، وسمي الأسير أسيرًا لشد قيده بقوة بجلد البعير الرطب ، وهو هنا تقويه بشد ربط الأعضاء المتحركة في الإنسان في مفاصله بالعصب ، وهو كناية عن الاتقان والقوة في الخلق . .

وقد بين تعالى ذلك في قوله : { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ } ، وقوله : { الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ } . قوله تعالى : { فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا } . السبيل هنا منكر ، ولكنه معين بقوله : { إِلَىٰ رَبِّهِ } ، لأن السبيل إلى ربه هو السبيل المستقيم . . كما قال تعالى : { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ إِلَّا مَا عَلَّمْتُكُمْ } وفي النهاية قال : { وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ } ، وهو الصراط المستقيم الذي دعا إليه صلى الله عليه وسلم . .

كما في قوله تعالى : { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } وهو القرآن الكريم كما تقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه في قوله تعالى : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } ، وقد بين تعالى أنه القرآن كله في قوله تعالى { الْم ذَالِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } بعد قوله : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } ، كأنه قال : الهادي إلى الصراط المستقيم المنوه عنه في الفاتحة : هو القرآن الكريم { هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُوْفُونَ بِآلِغَايِبِهِ } إلى آخر الصفات ، فيكون السبيل هنا معلوماً . .

وقوله تعالى قبلها : { إِنَّ هَٰذَا تَذَكُّرٌ } مشعر بأن السبيل عن طريق التذكر فيها والاتعاظ بها . .

وقوله : { فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا } ، علق اتخاذ السبيل إلى الله على مشيئة من